المبحث الثاني

قضية التحرير الوطني

استحوذت قضية التحرير الوطني على اهتمام فرانز فانون ويعود هذا الاهتمام إلي الارتباط العضوي الوثيق بين كل من قضايا التحرير الوطني والاستعمار والتي هي من المركز في اهتماماته فالتحرير الوطني يتحقق بالتخلص من الاستعمار أولا ثم تحقيق جوهر الاستقلال بإنجاز مهمة النهوض الاقتصادي والاجتماعي يواكبه نهوض ثقافي يعزز الاستقلال السياسي ويمنحه مضمونه، ورؤية فانون لقضايا التحرير الوطني رؤية شاملة لم تقتصر على جانب واحد فهو منذ البداية يطرح مسألة أساسية أوجزها في تساؤله:" متى يمكن القول بأن الوضع قد نضج إلي الحد الذي يجب فيه القيام بحركة تحرير وطني! وما هي الطليعة التي يجب أن تقوم بهذه الحركة"[1].

هذا التساؤل هو نقطة البدء. وينطلق منه في رؤيته لشروط انطلاق حركات التحرير وتحديد القوى والطليعة المهيأة؛ لأن تحمل هذا المشروع وتبدأ في إنجاز مهام التحرير، وتبعا لذلك ينخرط فانون في دراسة وفهم الواقع الطبقي ومن ثم تحديد دور كل طبقة في عملية الكفاح ويستمد فانون رؤيته هذه من دراسته لواقع المجتمع والثورة الجزائريين وقواها الاجتماعية المختلفة، وكذلك من متابعته و دراسته لبعض المجتمعات الأفريقية وتعرضت رؤية فانون المستمدة من خصوصية المجتمع الجزائري لبعض الانتقادات على النحو الذي سيتضح من خلال هذه الدراسة.

ولأهمية الدور الذي تقوم به الثقافة في حركة المجتمع، فقد أولاها فانون اهتماما خاصا بالحديث عن علاقة الثقافة ودورها في التحرير الوطني ويركز فانون في تناوله لهذه المسألة على المخاطر التي تواجهها حركة التحرير والتحديات التي تواجهها مركزا على أهمية الوعي ودوره في تجنب الانزلاق إلي هذه المخاطر ابتداءً والقدرة على تجاوزها ثانيا .

(١) فانون، معذبو الأرض، ، م س ذ، ص٦٢.

وفي هذا السياق نسعى إلى أن نتعرف على:

أولا : ظروف البيئة الدولية التي تجري في إطارها حركات التحرير.

ثانيا : القوى الوطنية والاجتماعية ودور كل منهما في حركة التحرير .

ثالثا : الثقافة والمثقفون وحركة التحرر .

رابعا : دور الوعي وأهميته.

أولا : حركات التحرير والمناخ الدولي :

ثمة فكرة مهمة يوضحها فانون وهي أن حركات التحرير لا تنبت من فراغ، وإنما هي نتائج لكفاح متصل لأجيال سابقة أدت دورها قدر استطاعتها،وناضلت بأسلحتها التي كانت تمتلكها في ذلك الحين " فالأجيال السابقة في البلاد المتخلفة قامت بعمليتين في وقت واحد : قاومت أعمال الاستنزاف التي تابعها الاستعمار، وهيأت نضج الكفاح الذي نخوضه الآن... وكان لابد أن تقوم أكثر من قبيلة بعصيان، وكان لابد أن تخمد أكثر من ثورة.. كان لابد من ذلك كله حتى نستطيع نحن اليوم أن نقوم بكفاحنا مؤمنين بالنصر "[1].

هذا الذي يقرره فانون له أهميته ليس فقط في أنه تعبيرٌ عن الوفاء وتقديرٌ لجهد أجيال سبقت – وهو كذلك بالفعل – ولكن أهميته تتعدى ذلك إلي كونه رد اعتبار لأجيال صُوّر تاريخها على أنه تاريخ الخضوع والاستسلام وذلك بهدف إثارة اليأس في النفوس ويتعدى أيضا مجرد رد الاعتبار؛ لأنه يؤدي دورا في بعث الأمل في إمكانية المقاومة مرة أخرى " إن ذكري مقاومة الاستعمار تظل حية قوية في القرى ...إن النساء لا تزال تدندن في أذان أطفالها بالأغاني التي رافقت المقاتلين الذين قاموا بالغزو.... والأحلام التي تداعب أخيلة الصغار في القرى هي أحلام التشبه بهذا المقاتل أو ذاك من المقاتلين"[2].

وكما أن حركة التحرير الوطني لا تنبت من فراغ فهي لا تدور في فراغ فإلي

(١) المرجع السابق، ص١٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧١.

جانب اعتمادها على الشعب وثقتها فيه فإنها تركن إلي تضامن دولي وإلي ظروف دولية أكثر ملائمة، وإلي تضامن أوثق مع حركات التحرير في البلاد الأخرى و "إن انبثاق الأمم الجديدة وتدمير النظم الاستعمارية هي إما ثمرة عنف يقوم به الشعب المستعمر وإما ثمرة للعنف الذي تقوم بها شعوب أخري مستعمرة فيضغط على النظام الاستعماري"[1] ذلك أن الشعب المستعمر ليس وحيدا في المعركة ويضرب فانون لذلك مثلا بالنضال الذي قام به الشعب الفيتنامي: " إن الانتصار الكبير الذي حققه الشعب الفيتنامي في ديان بيان فو لم يعد انتصارا فيتناميا فحسب وأصبح نساؤل الشعوب ماذا يجب أن نفعل حتى نحقق ديان بيان فو ثانية"[2] .

وإلى جانب نضال الشعوب الأخرى فهناك قوة الرأي العام العالمي حيث أن " كل عمل من أعمال القمع تتردد أصداؤه في العالم كله إن حوادث القتل التي حدثت في شارفيل قد هزت الرأي العالم العالمي أشهر طويلة[3] .

كذلك ففي إمكان حركات التحرير والاستقلال أن تستفيد من الحرب الباردة بين المعسكرين والصراع الدائر بينهما : " إن كل ثورة وكل تمرد يقعان في العالم الثالث يدخلان الآن في إطار الحرب الباردة، يكفي أن يضرب رجلان في سالزبوري حتى تهتز كتلة بكاملها من الكتلتين، وتأخذ تتحدث عن هذين الرجلين، وتنتهز هذه الفرصة لتثير المشكلة الخاصة برووديسيا رابطة هذه المشكلة بمشكلة أفريقيا كلها[4] .

وكذلك فهناك التناقضات بين الدول الرأسمالية نفسها، ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية في أن تحل محل القوى الاستعمارية الآفلة وكان ذلك من نتائج الحرب العالمية التي خاضتها القوي الاستعمارية وبخاصة الحرب العالمية الثانية والتي كانت من بين نتائجها إضعاف القوى الاستعمارية التقليدية وإيذانا بانتهاء الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية وظهور الولايات المتحدة الأمريكية كأقوى قوة رأسمالية تسعي لقيادة العالم " "إن الأمريكيين يعدون أنفسهم أوصياء على الرأسمالية

(١) نفسه

(٢) المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٤) نفسه.

الدولية ورعاة لها لذلك نراهم ينصحون البلاد الأوروبية بأن تحرر المستعمرات ودياً ونراهم في مرحلة ثانية لا يترددون في أن ينادوا باحترام مبدأ أفريقيا للأفريقيين"[1] ومن المهم في هذه المسألة بالذات أن يكون واضحا أن الولايات المتحدة الأمريكية بمناداتها بحق تقرير المصير لم يكن دافعها في ذلك هو الدفاع عن حق الشعوب في التحرر من الاستعمار ولكنه كان أحد الآليات التي لجأت إليها الولايات المتحدة لتقويض السيطرة الأوروبية على المستعمرات رغبة منها في الحلول محلها.

وثمة مسألة أخرى أدركها فانون وتصب في مصلحة حركات التحرير و هي طبيعة التناقضات داخل كل دولة استعمارية[2]، فعند نقطة معينة من الصراع بين قوى التحرير وقوى الاستعمار تدرك المصالح الرأسمالية داخل الدولة الاستعمارية أنها يمكن أن تخسر جراء استمرار هذا الصراع، من زاوية زيادة تكلفة الاحتفاظ بالمستعمرة من ناحية ومن ناحية أخري الخشية من تغلغل الأفكار الشيوعية وتزايد النفوذ السوفييتي و عبر فانون عن ذلك بقوله: "تدرك القوى الرأسمالية بأن إستراتيجيتها العسكرية ستخسر من نمو الحروب الوطنية كل شيء ، لذلك تضطر الى أن تسلم بتحرر جميع المستعمرات، فإن المهم عندها أن تتحاشى ما يهدد إستراتيجيتها وأن تتحاشى انفتاح الجماهير لعقيدة عدوه"[3].

وهذا الموقف من جانب القوى الرأسمالية لا يفسر برغبتها في إنهاء أشكال الاستعمار وتحقيق مصالح المستعمرات ، وتفسيره المنطقي يجد سنده في أن هذا الموقف هو تغير إستراتيجيتها من نمط الاستعمار القديم للدخول في نمط جديد من أنماط الاستغلال واستعمار غير مباشر هو ما أصطلح عليه بالاستعمار الجديد ، وإن كان ذلك لا يمنع أن بوسع حركات التحرير أن تستفيد من كل تناقض وتشدد المواجهة لتصفية الاستعمار، ذلك أن المنافسة الاقتصادية بين الشرق والغرب لا تسمح للحروب الاستعمارية أن تدوم طويلا ،كما تبدى ذلك من خبرة حرب فيتنام[4].

(١) المرجع السابق، ص٨١.

(2) G. K. Grohs," Frantz Fanon and the African Revolution" **The Journal of Modern African Studies**,(Cambridge: Cambridge Press, Vol. 6, No. 4 ,Dec, 1968) p.550..

(٣)فانون، معذبو الأرض، ، م س ذ، ص ٨١.

(4) G. K. Grohs, **op.cit.**, P.550.

وفي إطار رؤية الواقع الدولي المحيط بحركات التحرير الوطني، يرصد فانون أهم متغيرات هذا الواقع والتي تصب مباشرة في صالح حركات التحرير وتوفر أحد أهم شروط قيامها وهو ظهور المعسكر الاشتراكي كقوة كبري بتوجهه المعادي للاستعمار وقيامه بدوره في دعم حركات التحرير عسكريا وسياسيا عن طريق المساعدة العسكرية والاقتصادية ودعم قضايا التحرر والاستقلال في المحافل الدولية ويشير فانون إلي ذلك بقوله : " ثم إن المستعمر لا يجابه المضطهدين وحيدا هناك طبعا المعونة السياسية والدبلوماسية التي تقدمها البلاد التقدمية والشعوب التقدمية[1] .

وفي التحليل الأخير فإن فانون يرى أن البيئة الدولية ومناخ ما بعد الحرب العالمية الثانية هي بيئة ومناخ يعمل لصالح قضية التحرير الوطني.

ثانيا : دور القوي الاجتماعية في حركة التحرير الوطني

ثمة كتابات عديدة حللت رؤية فانون للتكوين الطبقي في كل من الدول المستعمرة ورؤيته للصراع بين الطبقات،فيرى أحد الباحثين أن فانون لم يقم بتحليل جدلي للطبقات وإنما تحدث عن قوى اجتماعية وليس عن تشكيلات طبقية على اعتبار أن المجتمعات التي عبّر عنها فانون في كتاباته وتبني قضاياها وهي دول العالم الثالث تختلف عن المجتمعات الأوروبية من أوجه عديدة فهذه المجتمعات ليست نتاج التطور الرأسمالي كذلك فليست هناك أحزاب منظمة في كفاحها ضد الاستعمار،فكان من المنطقي ألا يري فانون من منطلق وطني وثوري تمايز في التركيب الاجتماعي المحلي إلا بقدر ما تتحد فيه عناصر الثورة والقابلة لممارسة العنف الثوري[2] .

ويرى باحث أخر أن فانون يعزو تشكيل الطبقات في أفريقيا بالدرجة الأولي للاستعمار نفسه ونتيجة لذلك نجد صراعا طبقيا مباشرا بين الفلاحين والبرجوازيين

(١) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص ٦٨.

(2) Helmi Sharawy, **op.cit.**, P.207.

المدنيين و نزاعا غير مباشر بين مصالح الفلاحين وطبقة العمال[1].

باستخلاص رؤية فانون لدور القوى الطبقية أو الفئات الاجتماعية المختلفة في سياق التحرير الوطني ، يمكن القول إجمالا أنه يري أن هناك فئات وقوي يمكن وصفها بالثورية وهي تلك التي تساهم في دفع حركة التحرير الوطني بمشاركتها الفعالة في مقاومة الاستعمار وتري أن السبيل الوحيد إلي المقاومة هو الكفاح المسلح ومنازلة العنف الاستعماري بعنف مضاد، وأن هناك قوى أخرى تقف موقف المتشكك من جدوى المقاومة المسلحة وأن العامل الحاسم في تحديد خيارات كل قوة هو تكوينها الثقافي وأين تكن مصالحها الشخصية فبقدر ما تكون هذه القوي بعيدة عن التأثير الثقافي الاستعماري وبقدر ما أن مصالحها لا تلتقي مع المصالح الاستعمارية فإن هذه القوى تكون أقرب إلي فكرة المقاومة المسلحة وأكثر جذرية في العمل من أجل التحرر والاستقلال والعكس صحيح فبقدر ما تكون قوة من القوي معرضة للتأثيرات الثقافية الاستعمارية وتلتقي مصالحها- الاقتصادية – مع المصالح الاستعمارية، فإنها تقف في الجانب المضاد لحركة التحرر الوطني وتؤدي دورا سلبيا في إطارها، ونوجز هنا رؤية فانون لدور الطبقات الاجتماعية على النحو التالي:

١- الفلاحون :

يري فانون فلاحي دول العالم الثالث برؤية مغايرة ومعاكسة تماما لنظرائهم الأوروبيين في دول العالم المتقدم التي بلغت درجة كبيرة من التصنيع ففي دول العالم الصناعي تعتبر طبقة الفلاحين أقل الطبقات وعيا وانضباطا كما أنها توصف بمجموعة من الصفات هي نفسها التي تميز السلوك الرجعي فتسود بينها قيم الفردية والفوضوية وهي غير منظمة أو أقل تنظيما تعيش في بيئة صدعها تقدم التصنيع، وتتراوح مشاعرها بين الغضب الشديد و اليأس العميق، تعيش في عالم ساكن تفتقد فيه الروح الثورية وتنتفي المبادرة والرغبة في التغير. هذه الصفات اللصيقة بفلاحي البلاد الصناعية المتقدمة تضعهم في مصاف القوي المعادية للتغير الثوري والمعوقة له أما في البلاد المستعمرة فإن الفلاحين يكونون على العكس من ذلك تماما فإنهم يمثلون العنصر الانضباطي في المجتمع الذي يحمي التقاليد ويصونها، يعيشون في بيئة وإن كانت تقليدية إلا أن بنيتها الاجتماعية ظلت سليمة لم تتصدع كما في البلاد

(1) David Caute, **op.cit.**, P.78.

المتقدمة[١]. يقوم بنيانهم الاجتماعي على التواصل بين أفراد الجماعة وعلى الارتباط القوي بعضهم البعض، المسؤولية الاجتماعية الأولي للفرد فيه أن يرضخ لصالح الجماعة وأن يقدمها على أية مصلحة ذاتية[٢]، الفلاح هنا ليس فرديا إنه يتصف بالغيرية وذائب في الجماعة[٣]، فهذه الطبقة تتألف من رجال ذوي إحساس ومفاهيم اجتماعية ثورية وهم فئة متلاحمة تعيش حياة راكدة ولكنها تتمسك كل التمسك بقيمها الخلقية وتكرس نفسها للمحافظة على سلامة الشعب[٤].

إن المطلب الأساسي للفلاح هو الأرض، بها يمتلك وسائل العيش والإحساس بالكرامة، ولهذا فإن طبقة الفلاحين هي طبقة ثورية بحكم طبيعة مطالبها، فالمطالبة بالأرض تحتم تدمير النظام الاستعماري[٥]. ويري فانون أن مجتمع الفلاحين ينشأ من القيم والخصائص المستمدة من الثقافة الوطنية والتي تضرب بجذورها في الماضي قبل الاستعماري وهم ورثة التقاليد الثورية للمقاومين الأوائل،هذه التقاليد هي التي تلعب دورا في نمو الوعي السياسي الذي يقود إلي إنهاء الاستعمار[٦].

والفلاحون لم يندمجوا في الوجود الاستعماري وحافظوا على ذاتيتهم وعلى طراز من لحياة يعادى الاستعمار بطبيعته "إن أنفة الفلاح وإحجامه عن النزول إلي المدن واشمئزازه من مقاربة العالم الذي بناه المستعمر الأجنبي وتراجعه الدائم كلما دنا منه ممثلو الحكم الاستعماري إن ذلك كله كان يعني أنه يقابل الانقسام الذي أوجده المستعمِر بانقسام من عنده"[٧] وهكذا فإن فانون يصل بتحليله إلى أن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمَرة هي الطبقة الثورية الوحيدة ، هي الطبقة التي لا تخشى أن تفقد بالثورة أي شيء بل تطمع أن تكسب كل شيء ... إنه امرؤ ليس عنده حل وسط ولا مجال عنده لتسويه والقوة وحدها هي التي تحدد في رأيه بقاء الاستعمار أو زواله[٨].

---

(١) فانون معذبو الأرض، ، م س ذ، ص١٠٨ .

(٢) نفسه

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩.

(4) David Caute, **op.cit.**, P.72.

(5) Jock McCulloch, **op.cit.**, P.148.

(٦) عن طبقة الفلاحين ،انظر Adaner Usmani,**op,cit,**. PP.36-41.

(٧) فانون معذبو الأرض، م س ذ، ص١٣٢.

(٨) فانون معذبو الأرض، م س ذ، ص٦٣.

وهكذا نجد أن فانون كشف كل الإيجابيات في كفة هذه الطبقة فهي أكثر الطبقات ثورية وهي أكثرها محافظة على روح الجماعة المنشودة وأكثر تمسكا بالعقيدة والتراث المغروس في بنية ما قبل الاستعمار ويعود ذلك إلى أنهم" لم يتعرضوا إلي إغراء التغريب مثل سكان المدن وليس لهم الشعور بالدونية مثل البرجوازية الوطنية ويحمل فلكلورهم زخم المقاومة ويرشحهم القهر و النفي الذي يعاونه لقبول الأفكار الثورية والوعي الذاتي بمعني الثورة والاندفاع في طريقها"[١] .

وعن كيفية دخول الفلاحين إلي معترك الكفاح المسلح، يتحدث فانون عن اللقاء بين الفلاحين وأولئك المثقفين القادمين من المدن والمفصولين من أحزابهم السياسية بعد اختلافهم مع قادة هذه الأحزاب والمطاردين من قبل أجهزة الأمن فيضطرون إلي ترك المدن ويذهبون إلى الريف فيجدون الحماية الكاملة من الفلاحين،ويكونون أكثر قدره على الحركة، هؤلاء الوافدون إلي الريف يلتقون بالشعب بنقائه واستعداداته الثورية، يدخلون مدرسته وفي نفس الوقت يفتحون للشعب مدرسة يتعلم فيها السياسة والحرب ، والدروس في المدرسة لا تطول..وما يلبث هذا اللقاء بين القادة بدوافعهم الثورية والفلاحين بنقائهم واستعدادهم أن يؤدي إلي انطلاق الكفاح المسلح[٢] ، مستجيبا لأي شرارة تحدث .. ينطلق عفويا في البداية ثم يأخذ طريقه إلي التنظيم في مراحل لاحقة مع تطور الكفاح المسلح[٣] .

وهذا الفهم لدور الفلاحين في النضال يصطدم مع الماركسية التقليدية التي تري في الفلاحين طبقة محافظة تعيق التطور الثوري، وترفض افتراضات فانون المبالغ فيها، فمن وجهة النظر الماركسية فإن ماركس أعطى طبقة الفلاحين أهمية ثورية قليلة واعتبرها محافظة في حين أن لينين يسمح تحت ظروف معينة التحالف بين العمال الزراعيين والبروليتاريا ضد البورجوازية[٤] .

(1) Helmi Sharawy, **op.cit.**, P.210.

(٢)فانون، معذبو الأرض، ص١٢٢.

(3) G. K Grohs,**op.cit.**, P.550.
(4) B, Marie Perinbam,"Fanon and the Revolutionary Peasantry - The Algerian Case "**The Journal of Modern African Studies**,(Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 11, No. 3 ,Sep., 1973) p.428
http://www.jstor.org/stable/159609:

2 **Ibid.** P.429

كما أن كثيرًا من المحللين المعاصرين أدانوا تمجيد فانون لدور الفلاحين فيرى المؤرخ Oscar Handlin الفلاحين كطبقة محافظة مرتبطة بالأرض والمجتمع المحلي والأسرة وهذا الارتباط يعيق استعدادهم لقبول التغيرات الاجتماعية،وبالتالي فهم يقومون بدور كابح للثورة كما قرر R Redfield .

هذا النقد الموجه لفانون يكون صحيحا في مجمله إذا كان التحليل يتعلق بمهام الثورة الاجتماعية وعن القوى المؤهلة للتغيير المفترض القيام به بعد إنجاز مهام التحرير الوطني، أما إذا نظرنا للمسألة من زاوية حركة تحرير وطني مازالت تقوم بإنجاز مهام التحرير، فإن تحليل فانون يكون صحيحا في مجمله.

وفي دراسة مقارنة لأحد الباحثين١،عن فهم كل من فانون واميلكار كابرال* لدور الفلاحين، فإنه يورد ما يعتبره تمايزا بين رؤية كل منهما، فبينما يرى فانون أن فلاحي الدول المستعمرة هم الطبقة الثورية الوحيدة وسريعًا ما يلبوا نداء الثورة وأنهم يرون العنف طريقاً وحيداً للتحرير، فإن كابرال وإن أقرّ بأهمية الفلاحين كقوة رئيسية في النضال من أجل التحرير إلا أنه لا يراهم كقوة ثورية ، وهو في هذا يفرق بين الفلاحين باعتبارهم يشكلون غالبية السكان وبين اعتبارهم كقوة ثورية،وأن فلاحي غينيا بيساو ليس لديهم تقاليد ثورية كفلاحي الصين مثلا.ففانون يراهم قوة ثورية تلقائية بينما يعتقد كابرال أنهم وان كانوا قوة حيوية وأساسية إلا أنه يصعب إقناعهم بالقتال.

وفي تقييم B, Marie Perinbamلرؤية فانون لدور الفلاحين فإنه يذكر أنه من المرجح أن فانون كان يعرف أن الفلاحين كانوا على استعداد فقط للتمرد و العصيان وليس الثورة وأنه أيضا لم يكن عنده أوهام حول الفاعلية الثورية للفلاحين؛ لأن دورهم الذي قاموا به في الثورة و تحولهم إلى طبقة ثورية لم يتم إلا بعد تدريبهم وتنظيمهم على يد الكادر القيادي[1].ويمكن القول بأن هذا التقييم أسقط من حسابه الأسس التي أقام عليها فانون رؤيته الواضحة والتي وردت في صدر هذا المطلب،معتبرا أن تحول الفلاحين الى طبقة ثورية لم يتم إلا بعد تدريبهم وتنظيمهم متناسيا في ذلك حقيقة أن الثورة انطلقت عفوية في بدايتها ثم إن التنظيم أتى لاحقا

* كابرال، قائد الثورة في غينيا بيساو (غينيا البرتغالية سابقا) درس في لشبونه وعمل مهندسا زراعيا، اهتم بدراسة ثروات بلده وأصبح وطنيا ثوريا وأسس حزب الاستقلال الأفريقي لغينيا وجزر الرأس الأخضر ،قاد الكفاح المسلح ،واغتيل في يناير ١٩٧٣

(1) B, Marie Perinbam, **op.cit.**, P.445.

لضمان الاستمرارية ولعلاج مخاطر تلك العفوية فضلا عن أن التدريب والتنظيم نفسه لم يكن ليجدي لولا الطبيعة الثورية العفوية للبيئة المتلقية لهذا التدريب .

ومن المتصور أن إيمان فانون بدور الفلاحين، ينبع أولا من خصوصية أحاطت بهذا الدور في أحداث الثورة الجزائرية وفي الواقع الأفريقي فكانت رؤيته لثورة الماوماو في كينيا وأيضا بعض التجارب الآسيوية حيث دارت المعارك الحاسمة في الصين وفيتنام وأيضا المعارك في كوبا كل ذلك جري في المناطق الريفية حيث الكثرة الساحقة من رجال العصابات فيها مؤلفة من الفلاحين[1]. هي تجارب قادها الوعي الثوري وبهذا المعني فإن فانون لم يكن يخلق وحده في خيال مثقف متمرد، وإنما كان يسعى لتأكيد نمط له حضوره العالمي"[2].

٢- البروليتاريا الرثة Lumpen Prolitaria

وهم من الفئات الدنيا من الفلاحين من الرجال الذين هجروا الريف نظرا لضغط الظروف المعيشية والضائقة الاقتصادية العامة، أجبرهم تجريدهم من أملاكهم من قبل الاستعمار وكذلك تزايد السكان في مناطقهم على ترك أرض آبائهم وأجدادهم وفروا إلي المدن بحثا عن مورد رزق ولكنهم لا يستطيعون دخولها فيستقرون على أطرافها يسكنون أكواخ الصفيح انتظارا لأي فرصة سانحة لهم.

هذه الجموع فصلت عن قبائلها وعشائرها، فئة من الفعلة الكادحين العاطلين عن العمل هذه الفئة يعود تشكلها كما كل الفئات إلى الظرف الاستعماري نفسه بل إن نموها السريع هو سمة مميزة لمرحلة الاستعمار الجديد[3].

عن هذه الفئة يذكر Robert Blacky أن ماركس لا يرى في البروليتاريا الرثة أية قدرة على العمل الإيجابي،ويوافق كابرال على أنهم فئة غير موثوق بها نظرا لما يقدموه من مساعدة للمستعمِرين،ويذكر أيضا أن كابرال يميز في داخلها بين فئتين، فئة تقليدية وتضم(المتسولين-صغار المجرمين-القوادين) وهذه المجموعة لا يتوقع

(1) David Caute, **op.cit.,** P.72.:
(2) Helmi Sharawy, **op.cit.**, P.210.
(3) Jock McCulloch, **op.cit.,** P.145.

منها أي شيء، وفئة أخرى هم هؤلاء الرجال الذين هجروا المناطق الريفية ولا يعملون، وهي بصلاتها السابقة مع المناطق الريفية والحالية مع أهل المدن التي وفدوا إليها،هذه المجموعة تمتلك إمكانية الوعي الثوري وذلك بمقارنة مستوى معيشتهم بمستوى معيشة المستعمرين، والاختلاف الأساسي في هذه الجزئية، أن فانون لم يذهب إلى التمييز بين فئات مختلفة في داخلها كما ذهب إلى ذلك كابرال[1].

ويرى فانون أن البروليتاريا الرثة تنمو وفق منطق خاص فهي " أشبه بجموع الفئران التي تستمر على قضم جذور الشجرة برغم ركلها بالأرجل ورميها بالحجارة"[2]،هؤلاء الرجال يعانون بؤس شامل فهم لم يجدوا في عهد الاستعمار حتى العظمة يقضمونها ،هم فئة مختلف عليها لكنها عند فانون من حلفاء الثورة بسبب تلقائيتهم وقدرتهم على التمرد فهم أيضا ليس لديهم ما يخسرونه وشعورهم الطبيعي رافض للنظام الاجتماعي الاستعماري[3]،وحينما تتوجه إليهم قيادة الثورة يلبون النداء وينخرطون في العمل النضالي يجدون في النضال طريقهم إلي الاندماج في مجموع الأمة ويستردون اعتبارهم في نظر أنفسهم.

أهمية هذه الفئة تنبع من أنها رأس الحربة لنقل المعارك إلي المدن وتلك نقلة نوعية في الكفاح المسلح ، فالثورة إذا ظلت محصورة في الريف فالاستعمار ومراكزه في مأمن نسبي. ولتشديد القبضة عليه وتشتيت جهوده كان التحدي الماثل أمام قيادة الثورة هو ضرورة نقل المعركة للمدن، و بحسب خبرة وتجارب سابقة فإن الأحزاب السياسية في المدن هي أبعد ما تكون عن فكرة الكفاح المسلح، هي أقرب إلي منطق التفاوض والمساومة كما يتضح عند الحديث عن دور هذه الفئات.

إذن لم يبق أمام قيادة الثورة إلا أن تتجه إلي فئة الفلاحين الفقراء حول المدن لتجنيدهم وتنظيمهم وهذه الفئة كما ذكر سابقا و بحكم طبيعة تكوينها هي أقرب إلى تلبية هذا النداء..

وبهذا المعني فإن فئة البروليتاريا الرثة يقع على عاتقها وفق هذا التحليل دور هام وحاسم تقوم بها في أثناء مرحلة الكفاح.

(1) Robert Blacky, **op.cit.**, P.199.

(٣) فانون، معذبو الارض،م س ذ، ص١٢٤.

(3) Helmi Sharawy, **op.cit.**, P.211.

ولكن فانون من جانب أخر يدرك أن هذه الفئة تنطوي على جانب سلبي خطر، فإن قوى الاستعمار وهي مدركة لبؤسهم وفقدان الوعي بين صفوفهم تسعي من جانبها إلي ضمهم إلي جنودها المأجورين: ويذكر فانون بعض من الوقائع التي نجح الاستعمار فيها في ضم بعض أفراد هذه الطائفة إلي صفوفهم،ولذلك فإنه يولي هذه الطبقة أهمية، تفرض على قيادة الثورة ضرورة المبادرة إلي تنظيم هذا الاحتياطي المهيأ للعمل " فهم يلبون نداء الثورة ولكن إذا ظنت قيادة الثورة أن في وسعها أن تستغني عنهم فإن جموعهم تتحول إلي قوى مقاتلة ولكن في صفوف العدو[١].

ولكنه في النهاية يقرر أنه وبالعمل بينهم فهم يصبحون حلفاء للثورة يلبون نداءها وينخرطون فيها ويكونون رأس حربتها لنقل المعارك إلي المدن " وهم بهذا العمل النضالي يحققون ذاتهم ويندمجون في مجموع الأمة " " وجميع الرجال والنساء الذين يتأرجحون بين الجنون والانتحار يستردون إذا ذاك توازنهم ويأخذون يسيرون ويشاركون مشاركة حاسمة في موكب الأمة التي استيقظت"[٢]. بهذه الكلمات يحدد فانون للبروليتاريا الرثة موقعها في النضال التحرري.

ومن جانبه فإن Robert Blackyيقرر أن أفكار فانون هذه، خيالية بدرجة كبيرة ،إذ توقع من هذه الفئة أن تكون قادرة على استعادة توازنها وان تشارك في مسيرة نهوض الأمة[٣].

٣- البروليتاريا المدنية:

يلحظ الباحث لفكر فانون تبادلا في الأدوار ما بين طبقة الفلاحين والعمال فإذا كان الفلاحون في المجتمعات المستعمرة هم الطبقة الثورية التي تعمل على التغير وتقوم بالثورة وذلك بالمغايرة تماما للدور المحافظ الرجعي لنظرائهم الغربيين في الدول الرأسمالية المتقدمة وذلك وفق رؤية الأدبيات الكلاسيكية للتحليل الطبقي بما فيها التحليل الماركسي ، فبنفس القدر يري فانون أن فئة العمال في المجتمعات

(١) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص ١٣٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٢٥.
(3) Robert Blacky, **op.cit.**, P 200.

المستعمرة هي فئة محافظة بعكس نظرائهم في البلاد الرأسمالية المتقدمة فالعمال هناك في طليعة قوى التغير، فهم الفئة التي تعانى الاستغلال الرأسمالي وتسعى لتقويض أسس هذه النظام ،هي الفئة التي لا تخسر شيئا ويمكن بالثورة أن تكسب كل شيء، بينما تكون هذه الفئة في المجتمعات المستعمرة كما يراها فانون تعيش في بحبوحة أكثر من سائر الفئات، والبوروليتاريا الناشئة التي تعيش في المدن هي طبقة تتمتع نسبيا ببعض الامتيازات، فهى ليست كتلة مقموعة من العمال الصناعيين الفقراء ولكنها مجموعة صغيرة مميزة وهذا ما يجعلها في تعارض مع الفلاحين الفقراء[1]، وهي التي نجد لدي أفرادها سلوكا فرديا، فهي من الشعب المستعمر نواة يفيض عليها النظام الاستعماري أكثر مما يفيض من الخير، وهي فئة لا يستغني عنها الاستعمار لحسن سير الآلة الاستعمارية ويحددها فانون بأنهم هم " سائقوا حافلات الترام وسيارات الأجرة وعمال الموانى والمناجم الكتبة والتراجمة والممرضون" وهذه العناصر بما لها من الامتيازات في ظل النظام الاستعماري يمكن أن تعد الجزء البرجوازي من الشعب المستعمر[2] . واذا كانت البروليتاريا في البلاد الرأسمالية لا تخشى أن تخسر شيئاً فإن البروليتاريا في البلاد المستعمرة يمكن أن تخسر[3] . وذلك بالنظر إلي ما تحصل عليه من امتيازات، ولذلك فهو ينفي أي طابع ثوري لهذه الطبقة من السكان الأصليين في المستعمرات وبهذه الرؤية اعتبر فانون البروليتاريا قوة تابعة تسعى بدورها للحاق بامتيازات المستعمر[4] .

وإذا كانت هذه الرؤية يمكن أن تعني عند البعض نوعا من العسف لهذه الطبقة إلا أن فانون في هذا الشأن يكون متسقا تماما مع المعايير التي على أساسها يحدد وضع الفئات الاجتماعية من حركة الكفاح، وهي مدي تقاطع مصالحها مع المستعمر وارتباطها بالثقافة الوطنية وبالتالي رؤيتها للمقاومة ضد الاستعمار وبهذه المعايير فإن الطبقة العاملة ذات المصلحة النسبية في وجود المستعمر والمتأثرة بدرجة أو أخرى من الثقافة الاستعمارية ولا تري العنف وسيلة للخلاص من المستعمر فتكون بذلك أقرب إلى القوى التي لا تسعى إلي تغيير الوضع القائم.

(1) G. K. Grohs, **op.cit.**, P.549.

(٢) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص ١٠٦.

(٣) نفسه

(٤) Heimi Sharawy, **op.cit.**, P.209.

ويسحب فانون رؤيته هذه على البروليتاريا في البلاد الاستعمارية، فلم يكن يعتقد أن طبقة العمال الغربيين طبقة ثورية ولا هي متعاطفة مع الشعوب المستعمرة ذلك أنه يعتقد أن العمال الغربيين هم من المستفيدين من الاستعمار الجديد وكثيرا ما أشار إلى" العمال والفلاحين الفرنسيين وهم يحاربون الثورة الجزائرية"[1]. وغني عن القول أن تجربة الحرب الجزائرية كانت هي المصدر الذي استمد. منه فانون رؤيته هذه.

ولقد تعرضت هذه الرؤية"؛ لانتقادات الماركسيين من جميع الاتجاهات، وقد وضع المعلق التروتكسي(مشيل بالو) اللوم على قيادات الاشتراكيين الاصطلاحيين والأحزاب الشيوعية التحريفية فيما أصيب به العمال الأوروبيون من شلل، وهكذا يكون فانون قد أخطأ فجعل من تشويه سياسي مؤقت حقيقة اجتماعيا دائمة"[2].

وفي نفس السياق فقد وجه الزعيم الشيوعي الفيتنامي بنجوين نجه انتقادا لفانون قائلا: " إن الفلاح لا يستطيع مطلقا أن يكتسب من تلقاء ذاته، وعيا ثوريا. فالمناضل القادم من المدن هو الذي يتعين عليه أن يكتشف بصبر وجلد أشد عناصر الفلاحين ذكاءً ويعلمهم، وأن تحليل فانون الانتقائي للطبقة العاملة من سكان المستعمرات الأصليين ينهار أمام عجزه عن التفريق بين عناصر الطبقة العاملة الأصلية مثال عمال أحواض السفن والمناجم وبين فئات البرجوازية الصغيرة مثل الكتبة وسائقي السيارات"[3].

كما أن كابرال يرى أن الطبقة العاملة ملتزمة بالثورة وتشكل العمود الفقري لها وبسبب من مقارنة حالهم بالبروليتاريا الأوروبية التي تؤدى نفس العمل وتحصل على دخل أعلى، فان ذلك يشكل لديهم وعى متقدم بحقيقة أنهم مستغلون[4].

هذا النقد الموجه إلي فانون يمكن النظر إليه على انه يقوم على منطلقات

(1) David Caute, **op.cit.,** P.71.

(2) Idem.

(3) Ibid., P.72..

(4) Robert Blacky, **op.cit.,** P.199.

نظرية صرفة ويفقد مضمونة إذا أخذنا في الاعتبار التجربة الواقعية المعاشة والمباشرة، وهي التي شكلت محور رؤية فانون، ولا ينقص من قيمتها أنها مستمدة من واقع وخصوصية التجربة الجزائرية وذلك لتماثل الظروف والوقائع والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لكافة البلدان المستعمرة ودول العالم الثالث، وكذلك إذا أخذنا في الاعتبار المحددات (السابق الإشارة إليها) والتي اعتمد عليها فانون في تقييمه لدور كل طبقة أو فئة في حركة التحرر الوطني.

ومما يدعم وجهة النظر هذه أن الظرف الاستعماري نفسه لم يسمح بإقامة مجتمع صناعي متقدم يخلق بدوره طبقة عمالية متبلورة بل حافظ على نظام اقتصادي مختلف لا يخرج عن أن يكون اقتصاد استخراجي واستهلاكي.

وبافتراض وجود نسبة من عمال المناجم والمحاجر فإنها بالقطع نسبة ضئيلة ودورها هامشي و لا يمكن الاعتداد بها فواقع الأمر أنه لا توجد طبقة عمالية حقيقية تتعارض مصالحها مع مصالح النظام الاستعماري القائم وكل ما هو قائم فئات من العاملين هي أقرب إلى الفئات الدنيا من الطبقة البرجوازية تتمتع ببعض الامتيازات ولا تقوم بدور في حركة التحرير الوطني وأن أقصى ما يطالبون به هو الحصول على زيادة في الأجور أو تحسين ظروف معيشتهم أي مجرد الحصول على مزيد من الامتيازات.

فضلا عن أن هذا النقد في مجمله يمكن النظر اليه بعين الاعتبار ويكون صحيحا تماما إذا كان البحث يدور حول دور طبقة البروليتاريا في مرحلة ما بعد تحقيق الاستقلال الوطني وفي ظل وجود طبقة بروليتاريا صناعية قوية يُعتد بها تدخل في غمار عملية صراع طبقي تنهى به الاستغلال انواقع عليها

أما وأن البحث يدور في إطار حركة تحرير وطنى فالأمر مختلف، ففي مثل ظروف الثورة الجزائرية وثورات الدول الآسيوية و في تجارب كتجربة الصين، ما يدّعم مقولات فانون، وكذلك فإن تحليل الواقع الطبقي للدول المستعمَرة والمتخلفة وفي ظل غياب طبقة البروليتاريا الصناعية القوية، وما يفرزه الواقع الاستعماري نفسه، ما يجعل أفكار فانون تكتسب مصداقية لملامستها الواقع المعاش.

٤- البرجوازية المحلية:

يرى فانون أن البرجوازية المحلية تختلف في نشأتها ودورها عن البرجوازية الأوروبية، ففي حين أن البرجوازية الأوروبية لعبت دورا تقدميا في تطوير مجتمعاتها وتصنيعها فإن البرجوازية المحلية لدول العالم الثالث تتكون أساسا من النخبة المثقفة التي تلقت تعليمها في المجتمعات الأوروبية وتشربت قيمها وتتكون أيضا من أصحاب المهن والحرف من سكان المدن، وهي طبقة غير مبدعة ولا منتجة، بورجوازية طفيلية تستفيد من الاقتصاد الاستعماري[١]،وهذه النخب هي التي تشكل قيادة الأحزاب الوطنية البرجوازية وقواعدها وهي أحزاب مسالمة لا تلح على استخدام القوة وكل ما تسعى إليه هو تحسين أحوالها وتهتم بالمسائل الإصلاحية لا أكثر[٢].

ويُفسِر ذلك بأن الأحزاب السياسية تتألف من مجموعات من سكان المدن الذين يستفيدون من الوضع الاستعماري ولهم مصالحهم الخاصة التي تلتقي مع مصالح البرجوازية الاستعمارية، فهي إذن أحزاب مسالمة لا تلح على استخدام القوة ولا تسعى إلي هدم النظام القائم. واستئصاله من جذوره.

هذه البورجوازية المحلية تقاسي الإذلال من النظام الاستعماري وليس في استطاعتها أن تنمي قدراتها، و في نفس الوقت فان مصالحها الاقتصادية لا تسمح بالدخول في ثورة مفتوحة[٣].

ولذلك فهي بعد انطلاق حركة الكفاح المسلح سريعا ما تستجيب لدعوة البرجوازية الاستعمارية حين تنادي بفكرة اللاعنف وتسوية الأمور على مائدة المفوضات، ذلك أن النظام الاستعماري بذل جهداً كبيراً للسيطرة على عقلية وتفكير البورجوازية الوطنية واستخدمها كناطق باسمه[٤] ولجوء البرجوازية إلي المناداة

(1) G. K. Grohs, **op.cit.,** P.550.

(٢) فانون معذبو الأرض، م س ذ، ص٦٣ .

(3) G. K Grohs, **op.cit.,** P.549.

(4) Halford H. Fairchild," Frantz Fanon's The Wretched of the Earth in Contemporary Perspective", **Journal of Black Studies**,(London: Sage Publication,inc, Vol. 25, No. 2 ,Dec, 1994) pp. 19.
/http://www.jstor.orgstable/2784461

باللاعنف ينبع من إدراكها أن العنف ليس في مصلحتها وأنه يطعن الاقتصاد طعنا قاسيا[١]. وبدورها فإن البرجوازية المحلية بحكم التقاء المصالح تخشى هي الأخرى هذا العنف، وتسعى لتسوية المسألة الاستعمارية على مائدة المفاوضات وتتقدم للقيام بهذا الدور وتفرض نفسها وسيطا بين الطرفين.

هذه البرجوازية لم تطالب بالكفاح الشعبي وتنتقد الأعمال العنيفة متزرعة بالحجج عن قوة العدو التي تفوق بكثير قوة القوى الشعبية، ولكنها في واقع الأمر غير مقتنعة بجدوى الأساليب العنيفة وترى أن كل محاولة لتحطيم الاضطهاد الاستعماري بالقوة إنما هو سلوك يأس وانتحار[٢].

ولذلك فإن أغلب الأحزاب الوطنية لم تضع في برنامجها ضرورة العمل المسلح[٣]. وانحصر منهجها في التفاوض حرصا على أن تبقي الصلة قائمة بينهم وبين الدوائر الاستعمارية.

ويذهب دافيد كوت في تحليله وتفسيره لهذا الموقف ومتفقا مع رؤية فانون إلى أن طبقة البرجوازية في صفوف السكان الأصليين خلقها الاستعمار نفسه وشربها بأسوأ أنواع سمومه العنصرية[٤]. وهذه الصفة بعد أن تقوم بدورها في عملية التفاوض التي تنتهي باستلامها مقاليد السلطة، تقوم بتعزيز مصالحها على حساب مصلحة الأغلبية الشعبية إلى الدرجة التي تدفع فانون إلى طرح التساؤل عن مستقبل هذه الطبقة بعد تحقيق الاستقلال " إن المسألة النظرية التي تطرح منذ خمسين عاما حين يعالج تاريخ البلاد المختلفة، أعني هل يجب الوثب فوق هذه المرحلة البرجوازية أم لا ...إن المرحلة البرجوازية في البلاد المتخلفة لا تكون مبرره إلا إذا كانت البرجوازية الوطنية تمتلك من القوة الاقتصادية والتكنيكية ما يكفي لبناء مجتمع برجوازي، لخلق شروط نمو طبقة عاملة كبيرة، لتصنيع الزراعة وأخيرا قيام ثقافة وطنية أصيلة[٥].

(١) فانون معذبو الأرض، م س ذ، ص٦٥.
(٢) المرجع السابق، ص٦٦.
(٣) المرجع السابق، ص١١٣.
(4) David Caute, **op.cit.**, P.68.
(٥) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص١٦٨.

وهـذا التـساؤل الـذي طرحـه فـانون يجـد إجابتـه باسـتعراض خـصائص وصفات هذه البرجوازية كما حددها فانون في كتاباته، فهي برجوازيـة متخلفـة راكـدة قليلة العدد ، متمركزة في العاصمة ليست متجهة نحو الإنتـاج لا تملـك رؤوس أمـوال كبيرة كنظيرتها الأوروبية وإنما تتشبه بها في جانبها السلبي فتسيطر عليهـا روح التمتـع والميـل إلي الاسـتهلاك دون أن تكـون قطعـت مراحـل الابتكـار الأولي التـي قطعتهـا البرجوازية الأوروبية وحققت بها أشياء إيجابية، وهـي فاشـلة اقتـصاديا وعـاجزة عـن تحقيق الوحدة القومية بالنظر إلي مـصالحها الـضيقة، فتسعي إلي ترسـيخ فلـسفة عرقيـة تحمي بها هذه المصالح، وهي فاسدة يحملها فسادها إلى الركـون و الاعـتماد عـلى نظـام الحزب الواحد فتقيم نوعا من الديكتاتورية تعتمد فيهـا عـلى دور الـزعيم الفـرد الـذي توظف جماهيريته لتكون حاجزا بينها وبين الـشعب وتـستخدمه في لجـم وعيهـا محاولـة أن تستمد منه شرعيـة مفقـودة ، إن" برجوازيـة بهـذه الـسمات لهـي أشبه بعـصابة مـن اللصوص "[1].

بهذه السمات التي حـددها فـانون للبرجوازيـة المحليـة فإنـه كـان يقـدم إجابـة على تساؤله السابق، ويؤكد على مضمونها في أكثر من موضـع وكـأنما يريـد مزيـدا مـن التأكيـد عـلى رؤيتـه " أن المرحلـة البرجوازيـة مـستحيلة في الـبلاد المختلفة،فقـد تنـشأ ديكتاتورية بوليسية وقد تنشأ فئة من المتنفعين ولكـن القيـا م بمجتمـع بورجـوازي أمـر مخفق لا محالة"[2]. والبرجوازية القائمة هي برجوازية بالفكر ، لا تملـك قـوة اقتـصادية هي برجوازية موظفين ويُرتِبْ على ذلك الفهم نتيجته المنطقية " إن علينـا أن نعـارض معارضـة شـديدة حاسـمة في نـشوء برجوازيـة وطنيـة، في قيـام طبقـة مـن أصـحاب الامتيازات"[3].

والـدور الإيجابي الوحيـد الـذي يـراه فـانون لهـذه الطبقـة هـو" أن تنكـر نفـسها كبرجوازية ،أن تنكر نفسها كأداة لرأس المال، وأن تضع نفسها كـاملا في خدمـة رأس المال الثوري الـذي هـو الـشعب ....أن تفـرض عـلى نفسها خيانـة المهمـة التـي كانـت ميسرة لها"[4].

(١) المرجع السابق، ص١٦٥.
(٢) نفسه.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.
(٤) المرجع السابق، ص١٤٥.

وفي دراسة مقارنة بين رؤية كل من فانون وكابرال فان R. Blacky [1] يذكر أن كابرال يرى ان البورجوازية الصغيرة هى الوحيدة القادرة على قيادة الثورة وأن عليها أن تقوم بالخطوة الأولى المهمة تجاه تعبئة الجماهير، مؤسساً هذه الرؤية على اعتباره طبقة الفلاحين قوة غير ثورية وعلى أن الطبقة العاملة مازالت في طور جنيني، ويلاحظ هنا ان كابرال استخدم تعبير البرجوازية على إطلاقها، مما يوحى بتصنيفه للبورجوازية إلى أكثر من فئة، ويشرح R. Blacky وجهة نظر كابرال بأنه إذا ما كان فانون يرى أن على كابرال يرى أن البورجوازية الصغيرة تواجه نفس الخيار أما الالتحاق بالثورة أو خيانتها، وهذه البورجوازية الصغيرة وإن كانت في البداية تقف في المنتصف بين الجماهير وممثلى الطبقة الاستعمارية وتكافح لكى تكون مثل الأقلية الأجنبية وتندمج معها، إلا أنه يرى أن ذلك مستحيل، فهى تفشل في تخطى الحواجز التي أقامها النظام الاستعمارى، وهم سجناء التناقضات الثقافية والاجتماعية ولا يستطيعون الهروب من كونهم طبقة مهمشة في ظل النظام الاستعمارى وذلك برغم تعليمهم الأوروبي وخدماتهم التي يقدمونها لهذا النظام، مما يولد في داخلهم إحساس بالأسى والإحباط يقودهم الى التساؤل عن وضعهم الهامشى ويدفعهم إلى إعادة اكتشاف هويتهم، هذه البورجوازية الصغيرة (وهى تعارض هؤلاء الذين ارتبطوا بالاستعمار وتفاهموا معه) وبعد إعادة اكتشاف هويتها هى التي تبدأ الخطوة الأولى في تعبئة الجماهير وتنظيمها وتصبح في موقع القيادة لها،وفي ذات الوقت يسلم كابرال بوجود كثير من المترددين بين صفوفها إلا أنه يرى أن حركة الكفاح كفيلة بدفعهم إلى الارتباط أكثر بالجماهير، هذا الدور كما يراه كابرال تقوم به البورجوازية في أثناء مرحلة التحرير الوطنى، أما بعد تحقيق التحرير فإنه يرى أنه أمام البورجوازية أحد طريقين أما التحالف مع الامبريالية والقوى الرجعية لحماية مكاسبها وأما أن تنتحر كطبقة وتتحالف مع العمال والفلاحين إذا هي أرادت أن تنجز دورها الثورى، وهو في هذا، يتفق مع ما توصل إليه فانون في مرحلة ما بعد التحرير الوطنى، ويرى أن هذا المأزق الذي يواجه البورجوازية الصغيرة في النضال، هو نقطة ارتكاز يتوقف عليها نجاح الثورة.

وبالتأمل في رؤية كل من فانون وكابرال، نستنتج أن مرد الاختلاف بينهما في أن كابرال كان أكثر تحديدا في توصيف البورجوازية التي يعنيها وهى البورجوازية

(1) Robert Blacky, **op.cit.**, PP.200 -202

الصغيرة مميزا بينها وبين البورجوازية الكبيرة المتحالفة مع النظام الاستعماري والملتقية مصالحها معه، بينما أن فانون لم يذهب إلى هذا التحديد والتمييز بين الشرائح المختلفة للبورجوازية،ولو أنه فعل ربما ما وجدنا اختلافا بين وجهتي النظر.

من خلال ما سبق يمكن استخلاص رؤية فانون في أن البرجوازية المحلية ليس لها دورا إيجابيا في حركة التحرر الوطني في مرحلتها الأولي وهي الكفاح المسلح من أجل الاستقلال ولا ينبغي أن يكون لها دورا في المرحلة اللاحقة للاستقلال وأي دور تقوم به هو دور معوق للتقدم ولا يصب في صالح التنمية.

و حول مسالة الموقف من المرحلة البرجوازية وضرورة القفز فوقها، فإن هذه القضية كانت مثار جدل كبير وواسع في فترة الستينيات من القرن الماضي، في نفس الفترة التي بلور فيها فانون فكرته متزامنة مع حصول عدد كبير من الدول الأفريقية على استقلالها وكان خيارها هو اتباع طريق التنمية، وكانت هناك قناعة سائدة بين قادة حركات التحرر الوطني ، حيث قامت بالفعل نظم من الحكم طبقت تجارب تتجاوز فيها المرحلة البرجوازية، وعزز من ذلك شيوع عدد من المفاهيم اشتهر من بينها فكرة الاشتراكية الأفريقية التي تبناها بعض قادة حركة التحرر الوطنى وتقوم على الاعتقاد بأن أفريقيا هي في الأساس مجتمع غير طبقى.

وعلى هذا ولكل ما سبق يمكن القول بدرجة كبيرة من الاطمئنان أن فانون بحسب المناخ الفكري والسياسي السائد ومشاهداته السلبية عن واقع الطبقة البورجوازية في المجتمعات المستعمرة وفي دول العالم الثالث ، فإنه محق في النتيجة التي توصل إليها. ولكن من ناحية أخرى فإن فشل تجارب الستينيات يطرح من جديد مدي صحة هذا التصور ، و يطرح مجددا سؤالا آخر حول ما هي الشروط اللازم توافرها حتى تقوم مرحلة برجوازية حقيقية تؤدى دورا تنويريا مماثلا لدور نظريتها الأوروبية وفي نفس الوقت تتجنب مساوئها.

وهذا السؤال يتطلب جهدا للبحث عن أفضل إجابة له،يضع في اعتباره أن الديمقراطية الاجتماعية بمعناها الشامل وليس فقط الديمقراطية السياسية بأفقها الليبرالي الضيق هي أحد الشروط الضرورية لأي تنظيم اجتماعي يراد له أن يحقق دورا تقدمياً تنويرياً.

ثالثا: حركة التحرير – الثقافة الوطنية

ينظر إلى الواقع الثقافي لأي مجتمع باعتباره انعكاسا وتعبيرا عن واقعه السياسي الاقتصادي والاجتماعي ويشكل أحد عناصر البناء الفوقي للمجتمع وفي إطار المستعمرات فإن الاستعمار يعمل على تجميد الواقع السياسي و الاقتصادي والاجتماعي للدول المستعمرة ومن ثم يعمل على تجميد الواقع الثقافي، أولي فانون هذه المسالة اهتمامًا خاصًا منطلقا من أن المثقفين الأكثر عرضه للثقافة الاستعمارية وبالتالي أكثر تأثرا بها فهم المتعاملون معها وأحيانا المبررون لها.

ونجمل رؤية فانون للعلاقة بين الثقافة الوطنية ومعركة التحرير الوطني من خلال ثلاث نقاط.

١ – وتتعلق بالتأثير الاستعماري على الو قع الثقافي للمجتمعات المستعمرة

٢ – دور ومسؤولية المثقف المستعمر إزاء هذا الواقع.

٣ – التبدل الذي تحدثه معارك التحرير على الواقع الثقافي للشعوب المستعمرة.

١- تأثير الاستعمار على الواقع الثقافي للشعوب المستعمرة

ذُكِرَ أن الاستعماري يعمل على تجميد الواقع الثقافي للمجتمع المستعمر وذلك كنتيجة مباشرة لركود الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذا المجتمع، وفي سعيه لتسهيل مهمة إخضاع هذه الشعوب لسيطرتهم، فإن الاستعماريين يعملون على هدم ماضي وتاريخ هذه الشعوب ويعملون على تجريده من أية قيمة كانت لها في تاريخها ويسعون إلى أن يطمس الماضي على الحاضر ويصادر على المستقبل[1] وإنكار كل قيمة له و دفع الأفراد و الشعوب الى اعتناق القيم الثقافية للمستعمر، ويفلح الاستعمار في تمزيق الحياة الثقافية للشعب ودفع الأفراد والشعوب إلي اعتناق قيم الدول المستعمرة ثقافيا. ويتحقق هذا المحو عن طريق نفي الواقع الوطني، فبعد قرن من السيطرة الاستعمارية لا نري إلا ثقافة متيبسة متجمدة متحجرة تابع الاستعمار

(1) www.saadyyousaf.com

تحطمها متابعة منظمة[1] . ويري فانون" أنه ما دام الوضع الاستعماري قائما فالثقافة تنضب وتحتضر؛ لأنها تكون محرومة من ركيزتها وهى الأمة والدولة"[2].

إن نفي الذات الأفريقية على يد الاستعمار ليس مجرد عمل مادي أو اجتماعي أنه عمل لا إنساني[3]. وأن نزع الوجود الثقافي إنما هو جزء من عملية الاستقطاب الاقتصادي والبيولوجي ويبذل الاستعمار جهدا كبيرا في أن يقنع السكان الأصليين بأن الاستعمار قد انتشلهم من الظلام وأن الماضى السابق عليه كان ظلاما يشمل مجموع القارة كلها ولم يفرق في ذلك بين بلد وآخر ،وبذلك فالاستعمار لا يكتفي بفرض قانونه على حاضر البلاد المستعمرة وعلى مستقبلها بل يتجه إلى ماضى الشعب يحاول أن يشوهه هو الآخر بهدف إقناع المستعمر بضرورة الخضوع والاستسلام.

٢- دور ومسؤولية المثقف المستعمَر

يري بعض الباحثين أن فانون تحامل على هذه الفئة، وأنها لم تتحدد عنده لا اجتماعيا ولا ثقافيا بل اعتبرهم عنصراً أقرب إلى الانتهازية الفكرية والاجتماعية والخيانة لجماهيرها[4].

واقع الأمر أن هذا الانطباع نشأ من الهجوم الذي شنه فانون على نمط المثقف المستَوعَبُ تماما في الثقافة الاستعمارية والذي تلتقي مصالحه مع المصالح الاستعمارية، هذا النمط من المثقفين خُرِبت عقولهم عبر حشوها بالثقافة والقيم الاستعمارية وتأتي في مقدمة هذه القيم الروح الفردية التي انتقدها فانون" تأتي الفردية في طليعة هذه القيم لقد أخذ المثقف المستعمر عن أساتذته أنه على الفرد أن يؤكد ذاته لقد غرست البرجوازية الاستعمارية في ذهن المستعمر أن المجتمع مؤلف من أفراد لكل منهم ذاتيته الخاصة"[5]، هؤلاء تم تغريبهم تماما عن المجتمع وانفصلوا عنه .

---

(١) فانون، معذبو الارض، م س ذ، ص٢٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣١.

(3) Helmi Sharawy, **op.cit.**, P.202.

(4) **Ibid.**, P.207.

(٥) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص٥٢.

وثمة سبب آخر لهجوم فانون على المثقفين، الذين أسماهم مثقفي الطبقة البرجوازية، ذلك أن الإحساس بالدونية تجاه المستعمر أشد ما يكون عند فئات المثقفين البورجوازيين لاحتكاكهم بعادات الغرب وثقافته واستعدادهم للتماهي معها، هذا الإحساس بالدونية يكون واضحا لقدرتهم على التعبير عن أنفسهم سياسيا وثقافيا.... وأن هذا النمط من المثقفين يقف موقف المتفرج من حركة التحرير الوطني خاصة في مرحلتها الأولي، ولكن فانون يري إلي جانب ذلك نمطا أخر من المثقفين ذلك المثقف الذي يتاح له أن يغوص في شعبه أثناء فترة الكفاح من أجل التحرير فإنه يدرك فساد هذه النظرية الفردية وان أشكال الكفاح ستزوده بلغة جديدة"[1].

ويري فانون أن المثقف المستعمر الذي قرر العودة أو الرجوع عن الاستيعاب الكامل إلي مرحلة التعبير عن الشعب والارتباط به يمر بثلاثة مراحل، يكون في الأولي مستوعباً تماماً ومنكباً على تحصيل الثقافة الاستعمارية ومحاكيا ومتمثلا لكل نماذجها ،منفصلا عن واقع شعبه ومغتربا عنه والبعض منهم الذين يفزعهم واقع بعدهم عن الشعب يمرون بمرحلة تالية هي التي يقرر فيها أن يتذكر نفسه ولكنه غير متغلغل في شعبه، هي مرحلة قلق يجنح فيها إلي تمجيد كل ما هو قديم من تراث وماضي الشعب ، المرحلة الثالثة والأخيرة أسماها فانون مرحلة المعركة نري فيها المثقف بعد أن حاول أن يغرق في الشعب يعمد على عكس ذلك، فهو يهز الشعب أنه الآن بدلا من أن يغفو غفوة الشعب يستحيل إلي موقظ للشعب أنه ينتج أدب معركة أدبا ثوريا وقوميا ... وفي أثناء ذلك يدرك المثقف عاجلا أو آجلا أن المرء لا يبرهن على وجود أمته بثقافة، بل بخوض المعركة التي يخوضها الشعب ضد قوى الاحتلال"[2].

وينطلق فانون من ذلك ليحدد دورا رئيسيا يقوم به المثقف المستعمر، في أن مسؤوليته ليست عن الثقافة القومية بحسب بل مسؤولية شاملة عن الأمة بآسرها والتي ليست الثقافة إلا جانبا من جوانبها فالكفاح في سبيل الثقافة القومية إنما هو كفاح في سبيل الحرية القومية...أن المستعمر الذي يكتب لشعبه بوصف الماضي إنما

(١) نفسه.

(٢)المرجع السابق، ص ٢١٠.

يجب عليه أن يفعل ذلك بغية أن يفتح المستقبل وان يهب إلي العمل وأن يعزز الأمل ولكنك لا تستطيع" أن تقوي الأمل وأن تهب له عمقا وثقافة ما لم تشارك في العمل ما لم تنخرط في المعركة"[1]

يؤكد فانون على واجب الانخراط في المعركة؛ لأن بعض المثقفين" يتخذون من المطالبة بحضارة قومية ميدانا لمعركة مفضلة.. هؤلاء يضعون نشاطهم في إطار التاريخ"[2].

ففي مواجهة إنكار الاستعمار لأي تاريخ سابق على تاريخ الهجمة الاستعمارية، اندفع المثقفون الأفارقة في البحث عن حضارة سابقة على العهد الاستعماري يحدوهم الأمل في أن يجدوا وراء البؤس الراهن وراء هذا الإنكار، عصرا جميلا يرد فيه الاعتبار في نظر أنفسهم وفي نظر الآخرين، وأن اكتشافهم لماضي حضاري يشعرهم بنشوة؛ لأن ذلك يعني أن الماضي لم يكن كله عارا بل كرامة وأن بالإمكان كذلك أن تقوم حضارة جديدة في المستقبل... و هذا الاكتشاف لماضي حضاري يؤدي دوره في تحقيق التوازن النفس العاطفي لدي المستعمرين ويساعدهم على تجاوز عقده الإحساس بالدونية التي طالما عمل المستعمر على تكريسها.

والخلاصة أن فانون يرى أن على المثقف دورا رئيساً يجب أن يؤديه، وهو أن يشارك في المعركة الجارية وأن ينخرط فيها جسماً وروحاً.

٣- حركة التحرير الوطني والتحولات في الواقع الثقافي:

يعتقد فانون أن الاستعمار يعمل على نضوب كلٍ من الواقع القومي والثقافة وأن هناك علاقة ارتباط متبادل بين نضوب الواقع القومي و احتضار الثقافة.

ولذلك فإنه يري أن من الخطأ ومن غير المجدي العمل على إحداث أى تغييرات أو تجديدات ثقافية في ظل السيطرة الاستعمارية وذلك؛ لانتفاء الشروط الموضوعية التي تحقق للثقافة ازدهارها، فما دام الوضع الاستعماري قائما فالثقافة

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٧.

تنضب وتحتضر؛ لأنها تكون محرومة من ركيزتها الأساسية الأمة والدولة[1].

ومن ثم فأنه يري أن التحرر القومي وانبعاث الدولة شرط لوجود الثقافة ويطرح تساؤلا هاما عن العلاقة بين الكفاح أو الصراع - سواء كان سياسيا أو مسلحا و بين الثقافة ؟ وهل تعانى الثقافة توقفا أثناء الصراع؟. وهل كفاح التحرير ظاهرة ثقافية؟ ويجيب عن هذا التساؤل موضحا" إننا نعتقد أن الكفاح المنظم الواعي الذي يخوضه شعب من الشعوب لاسترداد سيادة الأمة هو أكمل مظهر ثقافي.. وأن معارك الكفاح تنمى في أثناء انطلاقها مختلف الاتجاهات الثقافية وتخلق اتجاهات جديدة ... فهو لا يرد إلي الثقافة الوطنية قيمتها وأطرها القديمة ، ولكنه يبدل الأشكال والمضامين الثقافية للشعب"[2].

ويضرب فانون أمثلة عديدة على ذلك، نلتقط منها ما ذكره عن أدب الرواية من حكايات وملاحم البطولة التي كان يرويها الحكائون الذين اعتادوا رواية قصص جامدة فصاروا يمنحونها حياة ويأخذون بالتجدد، أنهم يحاولون أن يجعلوا أقاصيص القتال التي يروونها حكايات راهنة ويسبغون عليها أشكالا معاصرة .... كانوا يبدءون حكايتهم بقولهم: " كان في القديم " أما الآن فهم يبدؤون بقولهم: " ما سأقصه عليكم قد حدث في مكان ما ولكن يمكن أن يحدث اليوم أو غدا " ولم يغفل الاستعمار عن ذلك فإذ هو يعمد منذ عام ١٩٥٥ إلي اعتقال جميع الرواة الذين يتحلق حولهم الناس ليستمعوا إلي قصص البطولة[3]، وهذا مجرد نموذج واحد من نماذج عديدة أشار لها فانون للتدليل على التبدلات الثقافية التي تحدث نتيجة حرب التحرير في غمار حركة التحرير الوطني.

فالثقافة القومية تتشكل من خلال تجارب الكفاح والاستقلال وليست سابقة عليها وإلا كانت نوعا من استدعاء الماضي وبالتالي تأصيل للجمود والتخلف ، وحين يخوض شعبا من الشعوب كفاحا مسلحا أو حتى كفاحا سياسيا فإن التقاليد تتبدل دلالاتها وما كان أسلوبا للمقاومة في السابق يمكن الآن أن يدان ، وإذن فإن الطريق إلى الثقافة الوطنية يمر من خلال معارك التحرير وأنه ما" من خطاب ولا نداء

(١) المرجع السابق، ص٢٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٨.

حول الثقافة ينبغي أن يصرفنا عن المهمة الأساسية التي هي تحرير أرض الوطن بكفاح نخوضه في كل لحظه ضد الأشكال الجديدة التي يتخذها الاستعمار"[1] لذلك فإن على الثقافة القومية في البلدان المتخلفة أن تضع نفسها في القلب من كفاح التحرير الذي تخوض هذه البلدان معاركه[2]؛ لأنه لا ثقافة لأمة إلا في إطار حريتها وسيادتها.

رابعا: عن الوعي وأهميته

تمر حركة التحرير الوطني وصولا إلي تحقيق الاستقلال بمراحل عدة، وعلى طول هذه المراحل فإنها لا تسير في خط مستقيم واحد صاعد وإنما تتعرض لبعض الانتكاسات ويفرض عليها التقهقر أحيانا، فخطوة إلي الخلف قد تكون ضرورية للوثب خطوتين إلي الأمام ،وفي مواجهة كل ما يلم بحركات التحرير الوطني من مخاطر وصعاب فإن وعي القادة و المقاتلين في الميدان يصبح ضروريا وحاسما للاستمرار في النضال التحرري ولضمان تحقيق هدفه في النهاية ، فبدون الوعي تتعثر الخطي ويفقد المناضلون اتجاههم وتضل الجماهير طريقها، يتسرب إليها اليأس وتكون الحركة أكثر تعرضا لخطر الانتكاس. ولذلك يتعين على قيادات حركات التحرير أن تضمن إلى جانب التدريب العسكري لكوادرها ومقاتليها الإعداد السياسي والعقائدي من خلال برامج معدة بعناية تقدم للمقاتلين والكوادر على كل مستويات الحركة[3].

لم يغب ذلك عن وعي فانون فأدرك أهمية الوعي لدي الجماهير والقادة وأولاه اهتماما بالغا وحدد عددا من المفاصل تستلزم هذا الوعي.

فلأسباب سبق توضيحها غالباً ما تنطلق شرارة الكفاح الأولى من الريف ويبدأ النضال عفويا وتلقائيا وفجائيا مما يربك قوي الاستعمار، ويحرز المناضلون في هذه المعركة انتصارات تعكس نفسها في جو من التفاؤل والانطلاق الفرح .. ثم تأتي مرحلة أخري ينظم فيها الاستعمار صفوفه ويستجمع قواه ويبدأ في الهجوم المضاد

(١) المرجع السابق، ص٢٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٢٢١.
(3). José da Mota-Lopes, **op,cit.**, P.53.

مركزا على نقاط ضعف المقاتلين وبقوة تفوق قوتهم ويدخل المقاتلون في مواجهة مباشرة ومكشوفة " فجو التفاؤل الذي سيطر على المشاعر في المرحلة الأولى يجعل القوة الوطنية أكثر اندفاعا ولا تطيق أن تقاتل متراجعة، والفرق المحلية تواجه الهجوم المحلي مجابهتها لمعركة حاسمة يتوقف عليها مصير الكفاح...وهذا الاندفاع يريد أن يصفي حسابه مع الاستعمار دفعة واحدة " وكنتيجة لهذا الاندفاع في مواجهة قوة أكبر يتعرض المقاتلون لخسائر كبيرة ويبدأ الشك بالتسرب إلى النفوس ومن خبرة هذه التجربة يدرك قادة الثورة أن عليهم أن ينوروا جميع المقاتلين أن يعلموهم ويثقفوهم. أن يبثوا فيهم عقيدة ويدركون أن انتصار الكفاح يقتضي أن تكون الأهداف جلية وأن تكون أساليب العمل واضحة وأن تعرف الجماهير ما في جهودها من قوة دافعة مثمرة.

فالجماهير عادة تتحرك في المراحل الأولى للكفاح تحت تأثير الحقد المتراكم في الصدور وذلك يؤتي ثماره في المدى المحدود فقد تصمد ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر ولكن الفوز بالنصر في حرب تحريرية يحتاج إلي ما هو أكثر من السخط أو الحماسة والشجاعة .. النصر في المعركة يستلزم رفع مستوى الوعي لدي المقاتل[1] ليدرك أن" الحرب ليست معركة كبيرة واحدة ،وإنما هي سلسلة معارك محلية، ليست واحدة منها فاصلة في حقيقة الأمر"[2].

ومن جانب أخر فإنه مما يؤكد أهمية الوعي أن قوى الاستعمار عادة ما تقوم بمناورات لتفريق الصفوف وتعمد إلي إتباع أساليب سيكولوجية لتضليلهم فتعمل بطرق شتى على إحياء المنازعات القبلية القديمة وتقوم باستقطاب بعض الأفراد من الطبقة الدنيا بسبب أميتهم وجهلهم فتدفع لهم الأموال وتستأجرهم لارتكاب بعض الأعمال الاستفزازية أو تجندهم كمرتزقة في صفوفه ويعمل على تفتيت الوحدة القومية بتأليب القبائل على بعضها، أنه يحاول أن يخرب الأمة ويفسد الإجماع الذي كان بادياً في المراحل الأولى للثورة، وتلك ضرورة أخرى تصبح معها التوعية السياسية للجماهير ضرورة تاريخية[3].

(١) المرجع السابق، ص١٣٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٤.
(٣) المرجع السابق، ص١٣١.

وثمة داع آخر يبرز أهمية الوعي في صفوف المقاتلين والجماهير، ذلك أن الاستعمار إلي جانب أتباعه أساليب الدس و الفرقة فهو يدرك من دراسته للشعب المستعمر ما هنالك من فقدان الثبات والاستقرار المعنوي في صفوف بعض السكان الأصليين ويحاول أن يكتسب عطف بعض هذه الفئات بتغيير أسلوبه في التعامل واصطناع التأدب والتهذب وشيئا من الروح الإنسانية ليوحي أن ثمة تبدلا قد حدث، وخطورة هذا الوضع تنشأ من أن المستعمر الذي كان ينظر إليه من قبل المستوطنين نظرة دونية وكان يعامل معاملة لا إنسانية، فإن جوعه إلى أن يعامل معاملة إنسانية تجعل مشاعره من الضعف والهشاشة وتجعله عرضة لأن يغرر به ، وأمام فقدان الثبات هذا يدرك قادة الثورة أن عليهم أن يشرحوا الأمور حتى لا يتوهم الشعب أن الغاية قد تحققت، يجب شرح الأهداف الحقيقية التي يسعى الكفاح إلي تحقيها وان بلوغ هذه الأهداف ليس مستحيلا، ولكي يتحصن الشعب ضد كل محاولات التغرير والتضليل " يجب أن يعرف إلي أين هو ماضي وكيف ينبغي له أن يمضى إلي حيث هو ماضي[1]" وأن يعرف مجموع الشعب أن هناك تنازلات ليست في حقيقتها إلا أغلالاً وأن ما يحصل عليه المستعمر بكفاحه ليس ثمرة حسن نية ولا طيب قلب من المستعمر وأن القبول بهذه التنازلات إنما يعني في حقيقة الأمر أن الشعب هو الذي يتنازل عن الجزء الأخر من حقوقه.

وفي هذه المسألة يفرق فانون بشكل واضح بين القبول بحل وسط وبين المساومة التي تقبل عليها أحيانا أحزاب البرجوازية ويقول: " لقد يمكن عند الاقتضاء أن يقبل المستعمر حلا وسطا، ولكن ما ينبغي له أبدا أن يقبل مساومة".

ومن أخطر ما يتعرض له الكفاح الوطني هو إحساس المناضلين بأن فريقا من الشعب وبالذات من أهل المدن يعيشون حياتهم وكأنهم يجهلون أن هناك نضالا قد انطلق ويكتفون بمشاهدة المعركة مما يثيرا شعورا بالمرارة والحنق لدي هؤلاء المناضلين من أهل الريف بالذات، عندئذ يجب على رجال التوجيه السياسي أن يشرحوا للشعب، أن هناك أجزاء من الشعب لها مصالح خاصة تتفق مع المصالح الاستعمارية ولا تلتقي التقاء كاملاً مع المصالحة الوطنية، حينئذ يصبح القرويين قادرين على التمييز والفرز و يدركون أن كفاح التحرير والاستقلال الوطني يبرز

(١) المرجع السابق، ص١٣٤.

عددًا من الوقائع المتناقضة، وهذا النوع من الوعي أمر هام جدا وحاسم ؛ لأنه ينقل الشعب نقلة نوعية من أفق الوطنية العامة إلي أفق الوعي الاجتماعي والاقتصادي[1]. وهذا الوعي بالذات يكون ضرورياً في المرحلة التالية للحصول على الاستقلال وفي مرحلة البناء حيث تتقاطع مصالح الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة وتواجه مرحلة ما بعد الاستقلال خطرا آخر يتمثل في أن القرويين وقد شاركوا في معركة الكفاح المسلح بفاعلية ن إلا أنهم في المرحلة التالية وهى مرحلة البناء فإنهم بحكم طبيعتهم المحافظة يقفون موقف التردد من أي تجديدات اجتماعية لها طابع تقدمي ،ويعود ذلك إلى أنه في أثناء الكفاح كان هناك حرص على تحقيق إجماع وطنى وبالتالي فإن قادة الثورة لم يهتموا ببرنامج ما بعد الاستقلال.

وإجمالا فإن الوعي السياسي يصبح ضرورة من أجل تحقيق الانتصار في المعركة وبه ينتقل الشعب من أفق الوطنية العامة إلى أفق أرحب وهو أفق الوعي الاجتماعي الاقتصادي وبالوعي يمكن تجاوز لمخاطر التي تواجه الكفاح وتكون وسيلة الوعي الأساسية، إلي جانب الشرح الذي يقوم به قادة الثورة هو ضرورة إدخال الجماهير في السياسية فذلك هو السبيل لتثقيفها ورفع مستوى تفكيرها،وإدخال الجماهير في السياسة لا يتأتي بالفاء خطاب سياسي ولكنه يأتي بالعمل على إيقاظ العقول وإفهام الجماهير أن كل شيء رهن بإرادتها، والوعي المقصود ليس مجرد الوعى الفردى ولكنه وعى المجموع " فقد يعجز رجل منعزل عن فهم مشكلة من المشاكل أما الجماعة بكاملها فإنها تفهم الأمور بسرعة تحير العقل "[2].

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٧.